[INTEGRATION OF KNOWLEDGE BETWEEN ARABIC SCIENCES: STRUCTURING OF THE TEXT AND ITS ROLE]

بنية النص ودورها في التكامل المعرفي بين علوم العربية

Mohamaed Aziz Abdel Maqsud Sayed Ahmed
mohamedaziz@unishams.edu.my
Kulliyyah of Usuluddin, Quranic Sciences and Arabic Language,
Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah, International Islamic University (UniSHAMS),
09300 Kuala Ketil, Kedah.

Mohamad Lukman Al Hakim Md. Noor
lukmanhakim@iium.edu.my (Corresponding Author)
Department of Language and Literacy, Kulliyyah of Education,
International Islamic University Malaysia (IIUM), Jln Gombak,
53100 Kuala Lumpur, Selangor, Malaysia.

Mohd Feham Md. Ghalib
mfeham@iium.edu.my
Department of Arabic Language & Literature,
Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences,
International Islamic University Malaysia (IIUM), Jln Gombak,
53100 Kuala Lumpur, Selangor, Malaysia.

Abstract

The construction of the text undoubtedly affects the knowledge integration of its parts and diversion between a fragmented reading text, and a single weft text reading. This is a reading that takes into account all aspects of the text, and that is a reading that looks into part of the text without taking into account all aspect of it. And, consequently, knowledge integration varies according to our view of the text, we need to pay attention to a comprehensive and varied reading of the texts! So that we do not read the texts when we lose their rhythm, their pomp and their greatness by focusing on one aspect only and neglecting several aspects have a great impact on the text's appearance in a new diverse format. Let us imagine the text of an audio, morphological, grammatical, semantic, rhetorical, literary, or 'arudh, and another text reading at all these levels, how would its knowledge integration be? This is what this research will demonstrate by analysing several selected texts through which to demonstrate how the text's holistic view plays an important role in knowledge integration. With a view to demonstrating the complementary relationship between Arabic sciences and its impact on the meaning, following the analytical approach in clarifying this, by presenting and analysing some texts in an integrated linguistic analysis, the conclusion is that taking into account the knowledge integration of Arabic sciences in reading and analysing texts has a major role to play in demonstrating its textual coherence, its comprehensiveness and its diversity. We will address this by describing the concept of knowledge integration, as well as the science of Arabic, and by referring to certain terms of text linguistics and their role in how to read texts that maintain the integrity of their aspect and the diversity of their meanings.

Keywords: *constructing, text, integration of knowledge, arabic sciences*

Article Received:	*Article Reviewed:*	*Article Published:*
30 November 2024	4 April 2024	26 December 2024

ملخص البحث

لا شك أن بناء النص يؤثر في التكامل المعرفي بين أجزائه، وشتان بين قراءة النص قراءة متجزئة، وقراءة النص لحمة واحدة، فهذه قراءة تراعي جوانب النص كله، وتلك قراءة تعتني بجزء من النص دون مراعاة باقي جوانبه، ومن ثم يترتب على ذلك أن التكامل المعرفي يتنوع حسب نظرتنا إلى النص، وما أحوجنا أن نولي اهتمامنا بقراءة النصوص قراءة شاملة ومتنوعة كي لا نظلم النصوص المقروءة عندما نفقد رونقها وبهاءها وعظمتها من خلال التركيز على جانب واحد فقط وإهمال عدة جوانب لها تأثير كبير في إظهار النص في قالب جديد متنوع. ولنا أن نتخيل نصا قرئ قراءة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية أو بلاغية، أو أدبية، أو عروضية، ونصا آخر قرئ بكل هذه المستويات، كيف سيكون تكامله المعرفي؟ وهذا ما سوف يبينه هذا البحث من خلال تحليل عدة نصوص مختارة نبين من خلالها كيف تؤدي النظرة الشمولية للنص دورا مهما في التكامل المعرفي. بهدف بيان العلاقة التكاملية بين علوم العربية وأثرها في المعنى، متبعين المنهج التحليلي في توضيح ذلك، من خلال عرض بعض النصوص وتحليلها تحليلا لغويا متكاملا، في سبيل الوصول إلى نتيجة مؤداها أن مراعاة التكامل المعرفي بين علوم العربية في قراءة النصوص وتحليلها له دور كبير في إظهار تماسكها النصي، وإظهار جمالياتها وتنوع معانيها. وسوف نتناول ذلك من خلال بيان مفهوم التكامل المعرفي، وكذلك علوم العربية، والإشارة إلى بعض مصطلحات اللسانيات النصية ودورها وكيفية قراءة النصوص قراءة تحافظ على تكامل اللحمة بين أجزائها وتنوع معانيها.

الكلمات المفتاحية: *بنية، النص، التكامل المعرفي، علوم العربية*

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وصلاة وسلاما على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فإن من درس تاريخ اللغة العربية يدرك يقينا أن علماءنا القدماء كانوا يتصفون بالشمولية المعرفية، فلم نجد التخصصية واضحة بين علومها إلا ما ندر في عصور متأخرة، وكنا نلحظ من خلال التعامل مع النصوص اللغوية التي وردت في ثنايا مؤلفاتهم التكامل اللغوي عامة بين علوم اللغة والعلوم المتصلة بها، فكان اللغوي نحويا وصرفيا وعروضيا وأديبا وبلاغيا وفقيها ومفسرا وغير ذلك.

ومنذ نشأة العلوم اللغوية وهي تسير في نظام متكامل بين مستوياتها بدءا من الجانب الصوتي فالصرفي فالنحوي فالدلالي، فهي منظمة متكاملة البنيان متشابكة الأركان، كل منها يكمل الآخر، وهذا ما سوف نوضحه – إن شاء الله – خلال الصفحات الآتية من تناول نماذج تطبيقية نبين من خلالها تلك العلاقات التكاملية بين هذه المستويات، وعلاقتها ببعض النظريات الحديثة، وكذلك علاقة تلك النظريات بعلمي العروض والقافية.

والمتأمل في تراثنا العربي يدرك تلك العلاقة التكاملية المعرفية، ولنا فيما قال الجرمي خير مثال؛ حيث قال:" أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه"[1].

وهذا يدل على أن الكتاب لم يكن مؤلفا لغويا فحسب، بل كان موسوعة شاملة في علوم العربية وغيرها من العلوم الإسلامية.

مشكلة الدراسة

تُعَدُّ دراسة بنية النص ودورها في تحقيق التكامل المعرفي موضوعًا بالغ الأهمية في مجال تحليل الخطاب والنظرية البنائية للمعرفة. يشير **دي بوجراند ودريسلر** (1981) إلى أن النصوص الفعّالة تعتمد على عناصر مثل الاتساق (cohesion) والترابط (coherence) لتحقيق الفهم الشامل[2]. ومع ذلك، تظهر مشكلة رئيسة تتمثل في ضعف بعض النصوص في تحقيق هذا التكامل بسبب غياب البنية المنهجية التي تربط بين الأجزاء المختلفة للنص .هذا الخلل يؤدي إلى صعوبات في استيعاب المعاني العميقة ويضعف قدرة النص على نقل المعرفة بفعالية. لذا، تستدعي هذه المشكلة البحث عن استراتيجيات لغوية وسياقية لتحليل النصوص، مما يعزز التفاعل بين القارئ والمحتوى، ويدعم التكامل المعرفي الذي يسهم في إنتاج المعرفة ونشرها بطرق أكثر فاعلية[3].

مفهوم بنية النص والتكامل المعرفي

البنية لغة: جاء في لسان العرب:" يُقال: بِنْيَة، وهي مثل رِشْوَة، ورِشًا، كأن البنية الهيئة التي بُني عليها، مثل المِشْيَة والرِّكْبة "[4].

البنية اصطلاحا: وعندما تكلم علماء التصريف عن تعريف علم الصرف أشاروا إلى ربط البنية بالمعنى، ومن ذلك قول الأشموني:" تصريف الكلمة هو تغيير بنيتها بحسب ما يعرض لها من المعنى ... ولهذا التغيير أحكام "[5].

ويقول الرضي:" المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة، وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه"[6] وثمة تشابه بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة " بنية "؛ حيث يراد بها " الهيئة "، ومن هنا يتكامل المعنيان؛ ليؤديا مفهوما متقاربا ومتشابها تترتب علي اشتقاقاته عدة معانٍ تختلف باختلاف سياقاتها.

---

[1] محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1984، ص 75.

[2] De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981). Introduction to Text Linguistics. London: Longman.

[3] Van Dijk, T. A. (1980). *Macrostructures: An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Interaction, and Cognition*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

[4] لسان العرب لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف، مادة " بنى " 4/ 365

[5] حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤف سعد، طبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة 4/ 332

[6] شرح شافية ابن الحاجب، تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي 686هـ، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1402هـ، 1982م، 1/ 2

ولا شك أن هناك تعانقًا بين مستويات اللغة الأربع الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوّن لبنات التركيب اللغوي، وفي كل هذه المستويات تتجلّى لبنة أساسية تعد عاملا مهما في بناء هذا التركيب، ألا وهي الكلمة.

مفهوم التكامل لغة

قال الجوهري:" الكمال: التمام، وفيه ثلاث لغات: كمَل، وكمُل، وكمِل، والكسر أردؤها. وتكامل، وأكملته أنا".[7]

قال صاحب اللسان[8]:"الكمال: التمام، وقيل: التمام الذي تجزأ منه أجزاؤه.. وتكمّل: ككمل، وتكامل الشيء وأكملته أنا، وأكملت الشيء، أي أجملته، وأتممته، وأكمله هو واستكمله، وكمّله: أتمّه وجمّله".

قال صاحب مقاييس اللغة: الكاف والميم واللام أصل صحيح يدل على تمام الشيء، يقال: كمَل الشيء، زكمُل فهو كامل، أي تام، وأكملته أنا. قال الله تعالى:" اليوم أكلمت لكم دينكم".[9]

مفهوم المعرفي لغة

قال ابن فارس:" العين واللام والميم أصل صحيح، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره".[10]

"التكامل في اللغة العربية يقتضي وجود مجموعة من العناصر، وهذه الأخيرة تمثل أجزاء، وهذه الأجزاء يتخللها النقص إذا نُظر إليها منفردة، وتعويض النقص يقتضي الاجتماع بالأجزاء الأخرى، حتى تحفظ من الآفات، وتحقق الاكتفاء، وهذا الاتصال يقتضي عملا تحكمه قوة وجهد، واستمرار وتتابع، فكل جزء يجيب عن دعوة الأجزاء الأخرى، ويقبل عليها، ويوفر لها ما تحتاجه، وكلما طال الزمن أدى كل جزء ما فيه، وحقق وظيفته، فتتحقق ذاته، ويتحقق التكامل"[11].

"وتوحي كلمة التكامل إلى أن جزء الشيء، أو الأجزاء المتعددة للشيء الواحد قد اتحدت وتوحدت واندمجت واختلطت، وأخذت شكلا واحدا؛ ولهذا فقد اكتمل وتم"[12].

---

[7] إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين، 1404هـ- 1984م، 5/ 1813، باب اللام مع الكاف والميم

[8] ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، 5/ 3930 مادة كمل باب الكاف

[9] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر، 5/ 139 مادة كمل باب الكاف والميم وما يثلثهما.

[10] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 4/ 109 مادة علم باب العين واللام وما يثلثهما

[11] د. عمار قاسمي، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي مجلة الشعاب، عدد 08، سبتمبر 2017، التكامل المعرفي مقاربة مقاهيمية ص176

[12] أ.م. الدكتور وان محمد عزام محمد أمين، وأ.م. الدكتورة صالحة حاج يعقوب، التكامل المعرفي في التراث العربي الإسلامي:دراسة تحليلية ونقدية، مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية، المجلد 2، العدد 1، أبريل 2015 م. ص 54.

مفهوم التكامل المعرفي

وقيل: تكامل منهجي شامل في مصادر المعرفة وأدواتها وبينهما، وتكامل في الوصف الكمي الذي يهتم بدراسة المعرفة في تكوينها ومراحلها الأولى، والكيفي الذي يعطي الدلالات والمعاني العميقة لها13.

ومما سبق نستنتج أن التكامل المعرفي صورة من صور الإبداع الفكري التي تتطلب قدرات خاصة؛ كي يمكن فهم الظاهرة المعرفية من خلال عدة أدوات تتعالق مع بعضها بعضا في تفسير ذلك كما وكيفا.

التكامل المعرفي بين علم الأصوات وبنية الكلمة

علاقة بنية الكلمة بعلم الأصوات علاقة وطيدة؛ حيث إن أية كلمة هي مكونة من عدة أصوات انتظمت فيما بينها بناء على ضوابط صرفية محددة سواء أكانت سوابق أم لواحق أم دواخل كوّنت لبنة جديدة لها سمات خاصة قد تختلف من سياق لآخر مع اختلاف دلالتها؛ لذا يمكن القول: إن العلاقة بين علم الأصوات وبنية الكلمة علاقة تكاملية لا غنى لواحدة عن الآخرى؛ فالصوت لا فائدة له منفردا إلا إذا اتخذ – من خلال عدة أنماط معينة – شكلا آخر، فتصبح له قيمة وقدر؛ لأنه شكّل بنية جديدة اكتسبت معاني جديدة.

وفي تعريف ابن جني للغة تبرز لنا أهمية الأصوات بوصفها المكون الرئيس لبنية الكلمة التي تُكوّن فيما بعد نصا متكامل البنيان؛ حيث يقول:" أما حدها فإنها أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[14].

ولذا فإن الكلمات " تتألف بضم الأصوات بعضها إلى بعض، والأصوات وهي صامتة ساكنة تكون خلوا من المعاني، بل لا يستطاع النطق بها حتى يتوصل إلى ذلك بحروف اللين أو الحركات "[15]

وتتجلى العلاقة في بنية الكلمة بين الصوامت والصوائت مكونة عدة معانٍ تستخدم في سياقات متنوعة بين متغير وثابت؛ لنرى من خلال التحول الداخلي للكلمة كيف يمكنها أن تؤدي معاني متنوعة إذا أمكن استخدامها استخداما جيدا، وهذا يتضح لنا من خلال ما ذكره عبد الصبور شاهين في قوله:" فنظرتنا إلى بناء الكلمة العربية تدلنا على أن فيها عنصرًا ثابتًا، وآخر متغيرًا، أما الثابت فهو مجموعة الصوامت التي تؤلف هيكل الكلمة، وأما المتغير فهو مجموعة الحركات التي تحدد صيغتها، وتمنحها معناها،

---

[13] فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 2011، ص 15، 16 بتصرف.

[14] – الخصائص، لأبي عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، طبعة دار الكتب المصرية 1/ 33.

[15] – بنية الكلمة العربية والقوانين الصوتية، أ. ربيع عمار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد الحادي عشر، ماي 2007م، ص 139.

وبذلك تزداد قيمة الحركات باعتبارها العامل الحاسم في خلق الكلمة العربية، وحسبنا أن نأخذ ثلاثة صوامت، ثم نرى ما تفعله الحركات بها، فالصوامت الثلاثة: (ك ت ب:) (k t b) تعتبر مادة لمجموعة من الصيغ التي تؤخذ منها، ولكن هذه الصيغ لا تتحقق إلا بوساطة الحركات، فالفعل الماضي" :كَتبَ " kataba مبني للمعلوم، والفعل" كُتِبَ" kutiba مبني للمجهول، والمفرد : "كتاب" kitab ، والجمع: "كُتُب" kutub ، والوصف: "كاتِب" katib ، وهكذا نجد أن الصوامت الثلاثة ثابتة، وأن استعمال المتكلم للحركات هو الذي يعطي مجموعة الصيغ الممكنة، وهو ما أطلق عليه" التحول الداخلي"، ومن الواضح أن الصوامت وحدها لا تكون مقاطع، وإنما يكونها دخول الحركات عليها، وارتباطها بها، وهذه الخاصة تتميز بها اللغة العربية على لغات كثيرة، ولا سيما اللغات الأوربية، تلك التي تعتمد على إلصاق زوائد بأول الأصل الثابت أو بآخره دون أن تترك أي تغيير في داخله"[16].

التكامل المعرفي بين الحركات الإعرابية وبنية الكلمة

تُعَدُّ الحركات جزءا من بنية الكلمة، ولها دور مؤثر في تحديد المعاني، فمتابعة التغير في بنية الكلمة من خلال تغير حركاتها سبيل إلى فهم التكامل البنيوي دون الإلمام أولا بالقاعدة، وهذا يتم من خلال الملاحظة والاستنتاج.

وإذا نظرنا إلى الحركة الإعرابية فإننا نجد أنها "علامة مميزة للكلمة العربية، وبيان اكتمالها، فهي تحدد الدور الوظيفي لها، وتبين قوتها وأهميتها في التركيب، ثم إنها تقوم يدور الإسماع، فالرفع غير النصب والجر، ولكل حركة وقع إسماعي خاص بها، فالرفع قوة وتسلط للكلمة، والنصب انفتاح لها، وأما الجر فامتداد وتوسع وكثرة"[17].

وقد بيّن د.كمال بشر أهمية الحركات في المستوى النحوي في قوله:" أما وظائف الحركات على المستوى النحوي فهي ذات خطر وشأن، ويكفي أن ندرك أن الإعراب في جملته يقوم على الحركات، فهي علاماته الأصلية في كل الحالات، وهي كذلك دالته في الإعراب " النائب " في معظم الحالات، كما أن الاختلاف في حركات الإعراب دليل الاختلاف في الوظيفة النحوية للكلمة، والفتحة كما هو معروف، علامة النصب، على حين أن الضمة علامة الرفع، والكسرة علامة الجر ".[18]

ويتجلى أثر الحركة الإعرابية في اختلاف المعاني في الأمثلة الآتية:

أ. ما أجملُ محمدٍ؟
ب. ما أجملَ محمدًا!
ج. ما أجملَ محمدٌ.

[16] – المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبد الصبور شاهين، طبعة مؤسسة الرسالة 1400هـ، 1980م، ص 43، 44.

[17] - د/ دليمة مزوز، التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم النحو، مجلة (رفوف) مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا * جامعة أدرار –الجزائر، العدد الثامن، ديسمبر 2015م ص 153.

[18] - دراسات في علم اللغة ص 202.

وبالنظر إلى حركة " أجمل " نلمح أن مجيئها بالضمة " أجملُ " يجعلها اسما وما بعدها يعرب مضاف إليه، وعليه فإن " ما " ستكون استفهامية، والأسلوب أسلوب استفهام.

وعند ستخدام " أجملَ " في المثال الثاني نجدها منصوبة سياقها يجعلها فعلا دالا على التعجب، وما بعد الفعل يعرب مفعولا به، وعليه ف " ما " ستكون تعجبية، والأسلوب أسلوب تعجب.

وفي المثال الثالث نجد أن كلمة " أجملَ " جاءت بالنصب كذلك، وسياقها يجعلها فعلا ماضيا، وما بعد الفعل يعرب فاعلا، وعليه ف " ما " نافية، والأسلوب أسلوب نفي.

التكامل المعرفي بين علم الدلالة والدراسات الصرفية والنحوية والبلاغية نماذج تطبيقية: (أحاديث نبوية شريفة)

ثمة وشائج قوية تربط علوم العربية بعضها ببعض، ويترتب على هذا الترابط والانسجام علاقات سياقية متنوعة، تعيننا في إعادة قراءة النصوص اللغوي؛ لنرى ما بينها وبين بعضها من تكامل في البنية النصية، وسوف نتناول خلال الصفحات القادمة عدة نصوص لغوية بهدف سبر أغوارها لنرى تلك اللحمة بين أجزائها، وما تؤديه في بنية النص وأثرها في المعنى.

النص الأول: روى سيدنا أبو هريرة –رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يَدْخُلُ الجَنَّةَ أقْوامٌ، أفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أفْئِدَةِ الطَّيْرِ". (مسلم: 2840).

أما تحليل النص تحليلا متكاملا متضافر العناصر فيعطينا المعاني الآتية:

هذا نص لغوي مكون من سبع كلمات "يَدْخُلُ الجَنَّةَ أقْوامٌ، أفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أفْئِدَةِ الطَّيْرِ"، تعالقت البنى النصية لتكون نسيجا متكاملا من العلاقات السياقية التي أفادت معاني كثيرة؛ حيث يتناول هذا النص اللغوي صنفا من الأصناف التي أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه سيدخل الجنة.

وقد تجلى هذا التكامل في الدلالات الصرفية والنحوية والبلاغية التي أثرت في بناء النص وإظهار معانيه، ويبدأ النص اللغوي بالفعل" يَدْخُل"، وهو مضارع مضموم العين، وماضيه بفتحها" دَخَل"، والصرفيون[19] على أن الماضي إذا كانت عينه أو لامه حرفًا من الحروف الحلقية الستة فعين مضارعها مفتوحة إلا في أفعال قليلة منها " دَخَل – يَدْخُل" فعين الفعل الماضي حرف حلقي " الخاء"، وجاء مضارعه مضموم العين ليس مفتوحها. يقول الرضي:"اعلم أن باب فعَل لخِفَّتِه لم يخَتَص بمعنى من المعاني، بل اُسْتُعْمَل في جميعها؛ لأنَّ اللفظَ إذا خَفَّ كَثُرَ استعمالُه واتَّسَعَ التصَرُّفُ فيه" الاستعمال".[20]

[19] – حنفي بن دوله الحاج، ونور أزلينا عبد الله، صيغ الفعل الثلاثي المجرد وتوظيفها في الصرف التعليمي دراسة في ضوء نظرية المخالفة والموافقة بتصرف، التجديد ـ المجلد الثامن عشر. العدد السادس والثلاثون . 1436هـ / 2014م، ص 51.

[20] – رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي 686هـ، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن وآخرين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ج2، ص238.

وكون الفعل" يدخُل" خالف القاعدة الصرفية فهذا يدل على أهمية سياقه الذي ورد فيه، ويؤكد المعنى الذي استعمل معه. وقد تجلّت صفات عديدة لهذا الصنف عند تشبيهه بالطير، فأفئدة الطير رقيقة وضعيفة، وكذلك هؤلاء، وقيل: الطير أكثر الحيوانات خوفا وفزعا، وكذلك هذا الصنف في الخوف والهيبة، فهم يخافون ربهم ويخشونه، كما قال تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: من الآية 28]، وقيل كذلك: إنهم مُتوكّلونَ على الله كالطَّيرِ؛ تَغدو خِماصًا وتَروحُ بِطانًا، وفي ذلكَ مَدحٌ لأَهلِ هَذه الصِّفاتِ، وكل هذه المعاني محتملة في سياق الحديث، ولا تعارض بينها.

وجاء التحليل النحوي متعالقا مع البنية الصرفية، ومضفيا على المعنى قوة من خلال استخدام الفعل المضارع "يدخُل" الدال بصيغته على التجدد والاستمرار.

وكان لظاهرة الموقعية دور في التكامل النصي من خلال تقديم المفعول به "الجنة" وتأخير الفاعل " أقوام"، وفيه من البلاغة ما فيه من حسن الاستهلال بذكر "الجنة" التي هي مبتغى كل إنسان قبل من يدخلها مع استخدام التنكير في "أقوام" الدال على التعظيم والعموم والشمول، ويتسق النص مع بعضه ويتكامل المعنى عندما تأتي الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار متمثلة في "أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ" التي تتكون من مبتدأ جمع تكسير "أَفْئِدَتُهُمْ"، والخبر المفرد اسم التشبيه "مِثْلُ" المضاف لما بعده " أَفْئِدَةِ"، ويزداد التكامل النصي والانسجام الداخلي عندما جاءت هذه الجملة الاسمية واصفة هذا الصنف من الأقوام.

ويعظم البناء النصي مع استخدام التشبيه المجمل من خلال ذكر ثلاثة عناصر من التشبيه وهي المشبه "أقوام"، واسم التشبيه "مثل"، والمشبه به "أفئدة الطير"، وحذف وجه الشبه الذي أشرنا إليه من قبل من حيث الرقة والضعف، والخوف والفزع، وحسن التوكل على الله، وهذه الصفات يحتملها المعنى السياقي للحديث، ودلالة حذف وجه الشبه في الحديث جعلت المشبه يشبه المشبه به في كل الصفات، وليست صفة واحدة، وهنا يؤدي السياق البلاغي دورا في اللحمة النصية بين الكلمات.

"ألا يعني ذلك عدم التفريق بين النحو والبلاغة؟ لقد ذكرنا الحذف والتقديم والتأخير، وما إلى ذلك من الموضوعات التي تدرس في النحو والبلاغة، وأصبح النحو – يتحمل – وحده هذه المعاني لدى معظم طلابنا، فهو إن عرف مواضيع حذف المبتدأ وجوبا وجوازا لا يعرف – في أغلب الأحيان– معاني الحذف ولا تقديرها ولا الغاية من حذفها، ولا تقدير التقدير ، وما وراء المعاني من المعاني خفية تتجلى واضحة مشرقة في ضوء تحليل واف يعتمد على أصغر وحدة في البنية ، وهي الحرف ، ثم البنية بسوابقها ولواحقها، ثم تراكيبها مع غيرها من الكلمات في سياق معين تتلون بتلونه، وتصطبغ بمعان لا يمكن الوقوف عليها إلا من خلال معرفة كنهه، وما يعتريه من ملابسات"[21].

التكامل المعرفي بين علم العروض والنظريات اللغوية الحديثة

ثمة نظريات لغوية حديثة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعلوم اللغوية من صوت وصرف ونحو ودلالة، وفي هذا السياق نلقي الضوء على نظرية لغوية واحدة، وهي السيميائية وعلاقتها بعلم العروض.

[21] – يوسف وسطاني، التكاملية في التحليل اللغوي في ضوء التراث ومقتضيات اللسانيات الحديثة، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا ص120.

مفهوم السيميائية لغةً

أشار ابن فارس إلى معنى السيمياء في قوله:"ومما شذَّ عن الباب السُّومة، وهي العلامة تُجعل في الشيء، والسيما مقصور من ذلك، قال الله سبحانه:" سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ " ، فإذا مدُّوه قالوا: السيماء".[22]

وجاء في اللسان: " والسُّومة والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء: العلامة ".[23] ومن خلال تناول أصحاب المعاجم معنى " السيمياء " يتبين أنها تدور حول معنى " العلامة "، وهذا المعنى هو نفسه المعنى الذي ورد في القرآن الكريم للفظ "سيمياء"، دون ياء" سمياء".

ومن ذلك قوله تعالى:" سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" (الفتح: من الآية 29). وقوله سبحانه وتعالى: " يُعْرَفُ الْمُجْرِمُون بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَوَاصِي وَالْأَقْدَامِ " (الرحمن: 41). وقوله جلا وعلا:"وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ" (الأعراف:من الآية48).

مفهوم السيمياء اصطلاحا

عرفها فرديناند دوسوسير بأنها: "دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية".[24] وعرّف دانيال تشاندريل السيميائية في قوله:" وأقصر تعريف للسيميائية هو " دراسة الإشارات ".[25]

والتحليل السيميائي يركز على جانبين:

أ. الرمزية والدلالات

ب. ربط النص بالواقع ، ولكن ليس بالضرورة أن يقتضي ذلك التطبيق الدقيق على أشخاص بعينهم أو أماكن بعينها أو قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية بعينها.[26]

ويقصد بالتحليل السيميائي للنص الأدبي دراسة هذا النص من جميع جوانبه دراسة سيميائية تغوص في أعماقه ، وتستكشف مدلولاته المحتملة ، مع محاولة ربط النص بالواقع ، وما يمكن الاستفادة وأخذ العبر منه.

وسوف نلقي الضوء على علاقة السيميائية بالزحاف العروضي؛ لنرى التكامل بين بينهما.

---

[22] – معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ... – 395، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، مادة " سوم " 3/ 118، 119.

[23] – لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، طبعة دار صادر، بيروت، مادة " سوم " 12/ 312.

[24] – السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها سعيد بنكراد، الطبعة الثالثة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 2012 ص 9.

[25] – أسس السيميائية، دانيال تشاندريل، ترجمة د.طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان ص 57.

[26] – علم اللغة العام، تأليف فرديناند دي سوسور، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز، طبعة دار آفاق عربية، بغداد، 1985م، ص 35، 36.

الزحاف لغة

الزحاف لغة يعني المشي، يقول الزبيدي:" زحف إليه، كمنع، زحْفا، بالفتح، وزحوفا، كقعود، وزحفانا، محركة: مشى ".[27]

الزحاف اصطلاحا

" هو تغيير يطرأ على ثواني الأسباب دون الأوتاد، وهو غير لازم، بمعنى أن دخوله في بيت القصيدة لا يستلزم دخوله في بقية أبياتها ".[28]

نموذج تطبيقي على زحاف " القبض " (X5o):

القبض في معاجم العربية من معانيه خلاف البسط.

يقول ابن منظور:" القبض: خلاف البسط، قبضه يقبضه قبضا .. والانقباض: خلاف الانبساط، وقد انقبض، وتقبّض، وانقبض الشيء: صار مقبوضا"[29].

والمعنى اللغوي هذا له علاقة كبيرة بالمعنى الاصطلاحي؛ حيث القبض حذف الخامس الساكن (X5o)[30]، والخامس الساكن إما أن يكون في تفعيلة خماسية، نحو: فَعولُنْ " (o/o//)، المكونة من وتد مجموع (// o)، وسبب خفيف (/o) أو سباعية، نحو "مَفاعيلنْ " (o/o/o//)، المكونة من وتد مجموع (// o)، وسببين خفيفين (/o/ +o) وهذا معناه أن التفعيلة فيها امتداد وانبساط في الحركات، والسواكن، وعندما يدخلها القبض لا تصبح منبسطة، بل تقل سواكنها، وتصبح غير قادرة على الامتداد كما كانت حالتها وهي منبسطة، وهذه سيميائية زحاف القبض من حيث الإشارة إلى معنى يفيده حذف الخامس الساكن من التفعيلة لتصبح غير منبسطة، وفيها نوع من التراجع والتوقف، وعدم الإحساس بالحرية المطلقة، فصوت التفعيلة قُبض، فلم يك ممتدا مثلما كان مبسوطا.

يقول حافظ إبراهيم في قصيدته المسماة بـ" اللغة العربية تنعي حظها بين أهلها"[31]:

---

[27] – تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، طبعة مطبعة حكومة الكويت، 1399هـ، 1979م، مادة زحف فصل الزاي مع الحاء 23/ 370.

[28] – المرشد الوافي في العروض والقوافي، تأليف الدكتور محمد بن حسن بن عثمان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م – 1425هـ، ص28، ويراجع: جامع الدروس العروضية، الدوكالي محمد نصر، الطبعة الأولى، منشورات جامعة ناصر الخمس، 1997م ص 22

[29] – اللسان 7/ 213 مادة قبض حرف الضاض فصل القاف.

[30] – المرشد الوافي في العروض والقوافي ص29.

[31] – ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، الطبعة الثالثة، المكتبة الأميرية بالقاهرة 1948م 1/ 242: 244.

أَيَهْجُرُنِي قَوْمي— عَفا اللهُ عَنْهُمُ- *** إلى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُواة ؟
أَيَهْجُ / رُنِي قَوْمي/ عَفلْلا / هُعَنْهُمُو- *** إلى لُ / غَتنْلَمْ تَتْ / تَصِلْبِ / رُواتي
o/o// - /o// - o/o/o// - /o//*** o//o// -o/o// - o/o/o// - /o//

تخاطب اللغة العربية أهلها معاتبة إياهم؛ لأنهم يتركونها إلى لغات أخرى " لم ياخذها الخلف عن السلف بطريقة الرواية التي تحفظها من التغيير كما هو الشأن في العربية، ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ".[32]

ونلحظ أن زحاف القبض قد دخل هذا البيت، وسبق أن أشرنا إلى أن القبض في معاجم العربية من معانيه خلاف البسط ، والملاحظ أن القبض دخل حشو الشطر الأول في تفعيلة (أيهجُ //o/) ، وكذلك حشو الشطر الثاني في تفعيلة (تصلب //o/) ، ونلحظ أن هناك علاقة واضحة بين السيميائية اللغوية لزحاف القبض من انقباض التفعيلة عندما حُذف ساكنها الخامس، والمعنى السياقي للبيت هنا، ففي الأولى نجد أن في الهجر تركا، وهو خلاف الوصال الذي يعني الانبساط والامتداد، ومن ثَمَّ فتلاقي سيميائية اللغة مع الإشارات التي تضفيها كلمة الهجر بصيغة الاستفهام الدال على الاستنكار ينقل لنا الحالة النفسية الذي تعيشها اللغة العربية مما يفعله أهلها، وقد انعكس ذلك على الشاعر؛ فجاءت كلماته معبرة عما يستشعره، ويستوحيه تجاه هذا الموقف الصعب؛ لذا كانت القبض في التفعيلة مناسبا سيميائية القبض اللغوية، والسيميائية السياقية للبيت.

وكذلك الأمر في الشطر الثاني فعدم الاتصال يعني عدم الانبساط، والتوقف الذي هو خلاف التواصل؛ لذا كان القبض في التفعيلة مناسبا لسيميائية البيت السياقية.

نموذج آخر على زحاف " الخبن(X2o)'' :

الخبن في المعاجم العربية يعني: التقليص والتقصير. يقول الجوهري:" خَبَنْتُ الثوب وغيره أَخْبِنُهُ خبْنًا وخِبانًا، إذا عطفته وخِطته ليقصر".[33] ويقول صاحب القاموس المحيط: " خبن الثوب وغيره خبنا وخِبانا، بالكسر: عطفه، وخاطه؛ ليقصر ".[34]

وتقدم أن الخبن اصطلاحا يعني حذف الثاني الساكن من التفعيلة (X2o)[35]، وكأن التفعيلة " فاعلاتن /o//o/o "، بعدما يدخلها الخبن تصبح " فعلاتن ///o/o "، وقد حذف منها الثاني الساكن، فتقلصت من تفعيلة سباعية إلى سداسية، ونلحظ العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي قوية جدا، فالسيميائية اللغوية لزحاف الخبن تعني " التقليص "، وهذا نفسه المعنى الذي يفهم من المعنى الاصطلاحي، فعندما تحذف الثاني الساكن كأنك قصرت التفعيلة من سبعة أحرف إلى ستة.

---

[32] – ديوان حافظ إبراهيم 1/ 243.

[33] – الصحاح 5/ 2107

[34] – القاموس المحيط تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي " المتوفى سنة 817هـ " الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1426 هـ، 2005م ص 1193

[35] – المرشد الوافي في العروض والقوافي ص28

يقول الجوهري:" خَبَنْتُ الثوب وغيره أَخْبِنُهُ خبْنًا وخِبانًا، إذا عطفته وخِطته ليقصر".[36]
يقول المتنبي [37]:

مالي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وتدَّعي حُبَّ سيْفِ الدَّولةِ الأممُ
مالي أكتْ / تمحبْ / بنقدبرى / جسدي *** وتدْدعي / حبْبسي / فدْدوْلتلْ / أمو
o///- o//o/o/ - o//o/- o//o// *** o/// - o//o/o/ - o/// - o//o/o/

"أكتّم: أكثر الكتمان، ومن شأن المحب أن يكتم ما به، يقول: حبّي سيف الدولة قد برى جسمي وأنا كاتم له، وغيري يدّعي حبه، ويظهر ما يضمر سواه". [38]

ونلحظ من خلال المعنى العام لبيت المتنبي أن هناك علاقة كبيرة بين معنى زحاف الخبن " حذف الثاني الساكن من التفعيلة " (X2o)، وبين المعنى العام للبيت؛ حيث دلالة معنى الخبن اللغوية " التقليص والتقصير "، وقصر التفعيلة يلائم الحالة النفسية للشاعر من تكتيم الحب، فالتكتيم يعني التقليص الشديد في إعلان مشاعره، ولنا أن نتخيل الصوت البارز المنطوق في الفعل " أكتِّم "، الذي ينقل لنا حالة نفسية يعاني منها الشاعر أشد معاناة، وهذا بدوره يتناسب مع سيميائية زحاف " الخبن " الاصطلاحية، فالحذف يعني الإخفاء، وهو ما يعنيه من تكتيم الحب؛ حيث إخفاؤه أيضا، وكذلك الأمر في ادعاء حب سيف الدولة الأمم، فالادعاء شيء ظاهره عكس باطنه، وهذا يتناسب مع معنى التقليص والتقصير، ومن ثمَّ تتجلى السيميائية في الربط بين المعنى اللغوي للخبن، وإشارات الكلمات التي حدث فيها هذا الزحاف، فالمتنبي لا يكْتم حبا، بل يُكتِّم، والفرق كبير بين سيميائية الكتمان وسيميائية التكتّم، وبيان حالة المتنبي وهو يكتّم حبه؛ حيث معاني الإخفاء والتقليص لما يستشعره، فالحالة النفسية خير تصوير لما يعيشه هذا الشاعر العظيم.

نموذج آخر على زحاف " العصب "(o5/). يقول عبيد:

[36] – الصحاح 5/ 2107

[37] – اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (363 – 449 هـ)، حققه محمد سعيد المولوي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية 1429هـ، 2008م 3/ 1156 .

[38] – اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي 3/ 1157.

سَلِ الشُّعَرَاءَ هَلْ سَبَحُوا كَسَبْحِي *** بُحُورَ الشِعْرِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي[39]

سلشْشعرا / ءهلْسبحوا / كسبحي*** بحورششع / رأوْغاصو / مغاصي

o/o// - o/o/o// - o/o/o// *** o/o// - o///o// - o///o//

هذا البيت من بحر الوافر، وقد دخل حشوه في الشطر الثاني في التفعيلتين الأولى والثانية زحاف العصب، وهو تسكين الخامس المتحرك (/o5)[40]، ومن المعانى اللغوية للعصب القبض والطي الشديد.

يقول الخليل:" والعصب: الطي الشديد ".[41] ويقول ابن منظور:" والعصْب: الطيُّ الشديد، وعصب الشيء يعصبه عصبا: طواه ولواه، وقيل: شدَّه .. وعصب الشيء: قبض عليه، والعصاب: القبض".[42] ويقول الفيروزآبادي:" والعصب: الطيّ، واللّيّ، والشدّ.. والقبض على الشيء ".[43]

وهذا المعنى اللغوي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي الذي يعني تسكين الخامس المتحرك (/o5)، وسبق أن أشرنا إلى أن القبض خلاف البسط، وإن كان كل منهما يدخل الحرف الخامس إلا أن هناك فرقا بين معنى القبض ومعنى العصب، فالقبض حكمه أسهل من العصب؛ لأنه يكون حذفا لخامس ساكن، فلا صراع عند الحذف للمحذوف (X5o)، في حين أن العصب يكون تسكينا لخامس متحرك، فليس ساكنا، وهذا معناه أنه لن يقبل تسكينه منذ البداية، لكنه سيبذل جهدا كبيرا في الدفاع عن نفسه، ولنا أن نلحظ حالة الصراع بين التسكين والحالة النفسية للخامس المتحرك.

والشاعر هنا يشبه مهارته الشعرية، "سبحه بحور الشعر" بحركات الحوت في المياه, وهي صورة غريبة لا نجد مثلها في الأدب العربي "[44].

ونلحظ في صورة لبيد من تشبيه مهارته الشعرية، وسبحه بحور الشعر بحركات الحوت في المياه كأنه قابض على بحور الشعر؛ لتمكنه منها، ولم يجاره فيها أحد؛ لذا التقت السيميائية اللغوية لزحاف العصب مع سيميائية الدلالة من سبح لبيد بحور الشعر.

وتبدو هذه السيميائية واضحة إذا أمعنا النظر في تفعيلتي " بحورششع / رأوْغاصو "، فهاتان التفعيلتان قد دخلهما العصب، وبحور الشعر من كثرتها واختلاف تفعيلاتها أصبحت شيئا مقبوضا مطويا في يد لبيد، وقد تمكَّن منها تمكنا جعله يسبح فيها مدركا كنهها، وأبعادها. وكذلك الأمر يتضح من خلال تفعيلة " رأوْغاصو "؛ حيث الغوص بما فيه من حركات ومهارات كلها أصبحت ملكة عند الشاعر، وقد تمكن منها كأنه خبير بها، ولم يعد أي شاعر قادرا على مجاراته في تمكنه من هذه المهارات الإبداعية في مجال الشعر.

---

[39] – ديوان عبيد 76, والبيت من الوافر, ويروى" سل الخطباء ", و" بحور القول " بدلا من :" سل الشعراء ... بحور الشعر". ديوانه ص 75 .

[40] – المرشد الوافي في العروض والقوافي ص29.

[41] – كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى 170 هـ، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424هـ، 2002م، 3/ 166 مادة عصب باب العين.

[42] – لسان العرب 1/ 602، 608 مادة عصب حرف الباء فصل العين.

[43] – القاموسط المحيط 1/ 115.

[44] – ديوانه 75

التكامل المعرفي بين السياق والنظام النحوي

قد يؤثر السياق في بناء النظام النحوي الذي اعتاد عليه النحاة، فبناء القاعدة النحوية قد يتغير ليتناسب مع السياق، وتتولد عدة معانٍ جديدة لم تكن موجودة في بناء النظام النحوي عند عدم مراعاة السياق.

وثمة اهتمام كبير لدى اللغويين العرب قديما وحديثا بالسياق؛ حيث تتماسك مكوناته من متكلم ومخاطب ورسالة ومقام فيما بينها، ويتولد عن هذا التماسك خلْق بيئات لغوية عديدة؛ ولذا فهو يُعَدُّ من الاستراتيجيات الفعّالة والمهمة التي تؤدي دورا مؤثرا في في بناء النظام النحوي وتعدد معانيه؛ وذلك إذا أمكننا توظيفه توظيفا متنوعا فعالا.

والسياق مفهوم قديم عَرَفه اللغويون، وأشاروا إليه في مصنفاتهم، وإن لم يرد صراحة بهذا اللفظ، فقد ذكره سيبويه في كتابه، وعبّر عنه بلفظ " الحال "، ومن ذلك ما ذكره في حذف الفعل في أسلوب التحذير عندما عقد بابا سماه " باب ما جرى منه على الأمر والتحذير"؛ حيث قال:" وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثَنَّوْا لكثرتها في كلامهم، واستغناء بما يرون من الحال، وبما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلا من اللفظ بالفعل، حين صار عندهم مثل: إياك، ولم يكن مثل: إياك لو أفردته؛ لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة إياك، فشُبّهت بإياك؛ حيث طال الكلام، وكان كثيرا في الكلام "[45].

ثم تتجلّى نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي عند ابن جني في خصائصه؛ حيث أشار إليها في مواضع متفرقة متناولا عناصر كل سياق في موضعه، ولقد وقفت على عدة نصوص له تدل على مدى عبقرية هذا الرجل، وبعد نظره في فهمه اللغوي، ولعمري إنه حاز قصب السبق في تناوله وفهمه هذا، ومن ذلك قوله:" أولا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، ويُنْعِم تصويره له في نفسه استعطفه ليُقبل عليه؛ فيقول له:

يا فلان، أين أنت؟ أرني وجهك، أقبِل عليَّ أحدِّثك، أمَا أنت حاضر يا هناه، فإذا أقبل عليه، وأصغى إليه، اندفع يحدثه، أو يأمره، أو ينهاه، أو نحو ذلك، **فلو كان استماع الأذُن مُغنيا عن مقابلة العين مجزئا عنه لما تكلّف القائل، ولا كلّف صاحبه الإقبال عليه، والإصغاء إليه** "[46].

لعمري إن كلماته الأخيرة لهي تلخص أمر نظرية السياق من مراعاة حال المتكلم والمخاطب معا، وكم كان ابن جني سابقا عصره، وذا بصيرة بأمر لغته، وأنه ليدرك يقينا أهمية مراعاة حال المخاطب في التفاهم اللغوي، وأن المتكلم إذا أمكنه تقديم تراكيب لغوية متنوعة إلا أن معانيها لن تكون مثلما يكون المخاطب داخل التركيب اللغوي الذي يعد المتكلم والمخاطب

ويقول عبد القاهر محاولا تفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي:" واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس "[47].

---

[45] – الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – 180 هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة 1408هـ، 1988م، مكتبة الخانجي، القاهرة. 1/ 275.

[46] – الخصائص 1/ 246، 247.

[47] – دلائل الإعجاز ص 55.

ولا شك أن عبارة شيخ اللغويين عبد القاهر ترسم للمتمعن فيها معالم النظام اللغوي عامة؛ حيث " لا نظم في الكلم، ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"، وهذا – لعمرك – هو السياق عامة؛ حيث تتجلى المعاني عند ربط بعضها ببعض، وتعالق بعضها ببعض.

وعرّف الدكتور تمام حسان السياق عندما تحدث عن العلاقة بين كفاية القرائن النحوية وتعدد المعاني؛ حيث يقول:" ولما كان تعدد المعنى يكشف عن عدم كفاية القرائن النحوية الدالة على الأبواب المقررة كان معنى ذلك أن النمط التركيبي أصبح بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة تعرف غالبا باسم " قرينة السياق "، وقرينة السياق هذه هي كبرى القرائن النحوية؛ لأنها قد تعتمد على شيء من هذه القرائن النحوية المفردة أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة "48.

ونلحظ أن أستاذنا الدكتور تمام حسان قرأ التراث النحوي قراءة جديدة شاملة بعد استنطاقه للنصوص التراثية، وفي ربطه بين علوم اللغة، وما يخدم الجهاز النحوي ؛ حيث التآخي بين القرائن المعنوية والقرائن اللفظية وهذا الفهم جعله يؤسس دراسته على أساس مجموعة من القرائن.

وأشار الدكتور حماسة إلى تأثير دلالة سياق النص وسياق الموقف على العناصر النحوية متناولا عدة أبواب نحوية تتجلى فيها هذه الظاهرة؛ حيث قال:" ولا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير.. ولا يُنكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه "[49].

أثر السياق في ظاهرة الحذف والتقدير من خلال حذف المفعول به

أ. عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل، فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح! فقال: اذبح ولا حرج، فجاءه آخر، فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي! قال: ارم ولا حرج، فما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدّم ولا أُخِّر إلا قال: افعل ولا حرج".[50]

ونلحظ أن الحذف الذي جاء في الحديث تمثل في حذف المفاعيل التي جاءت مع الأفعال " فحلقت "، و" أن أذبح "، و " اذبح "، و" فنحرت "، و" أرمي "، و" ارم "، وحذفت المفاعيل من سياق الأفعال الماضية؛ ليتناسب مع سياق المقام؛ حيث ليس المقام أن تكتمل عناصر الجمل؛ لأن الموقف والسياق يحتمان أن يحذف شيء من السياق، وهنا نلحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم يراعي حال المخاطب في مقامه في أداء مناسك الحج، ويوم النحر يكون الحاج منشغلا كثيرا بأعباء كثيرة، فيحتاج إلى التخفيف والأخذ بالرخص ما دام لم يتعارض مع واجب من واجبات الحج.

---

[48] – البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 1413هـ، 1993م، ص 212.

[49] – النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 1420هـ، 2000م ص 113.

[50] – عمدة القاري 2/ 13.

ب. عن أنس بن مالك أنه قال: خرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فجُحِش فصَلَّى لَنا قاعِدًا فَصلَّيْنا جَمْعَه قُعودًا ثُمَّ انصَرفَ، فقال: إِنَّما الْإِمامُ أَوْ إِنَّما جُعِلَ الْإِمامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذا كَبَّرَ فَكَبِّروا، وَإِذا رَكَع فَارْكَعوا، وَإِذا رَفَع فَارْفَعوا، وَإِذا قالَ: سَمِعَ اللهُ لَمَنْ حَمِدَهُ، فَقولوا: رَبَّنا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذا سَجَدَ فَاسْجُدوا ".[51]

وموطن الشاهد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: " وإذا رفع فارفعوا "، والتقدير: " وإذا رفع رأسه فارفعوا رؤوسكم "، ولا يخفى أن حذف المفعول به هنا جاء من باب الإيجاز؛ إذ سياق الحديث يشي إلى موقف تعليمي من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته في الصلاة، وكلما استطعنا في المواقف التعليمية استخدام كلمات قليلة معبرة كان أبلغ.

وعن السياق وعلاقته بالبناء الصرفي نشير إلى بعض الشواهد التي تبين الانسجام بين البنية الصرفية ودلالة سياقها، ومن ذلك:

قول عنترة:

وَقَهَرْتُ أَبْطَالَ الْوَغَى حَتَّى غَدَوْا جَرْحَى وَقَتْلَى مِنْ ضِرَابِ حُسَامِي[52]

ومفرد:"جرحى": جريح, ومفرد "قتلى": قتيل, ويلاحظ أن في الجمعين" جرحى وقتلى " دلالة على توجع وموت, فمن كثرة القتلى والجرحى أصبح ذلك بلية وآفة, وهذا المعنى مناسب لما يقصده عنترة؛ فالموضع موضع فخر واعتزاز.

الخاتمة

بعد العرض لبنية النص ودورها في التكامل المعرفي بين علوم العربية يمكن استنتاج ما يأتي:

أولا: أن ربط فروع اللغة بعضها ببعض يبرز لنا تلك اللُّحمة فيما بينها؛ مما يجعل الرؤية متكاملة، ويخرجنا خارج عباءة التخصصية، فكلما قرأنا النص بطريقة مختلفة أنتج لنا معاني جديدة، وقد تجلّى ذلك عند الربط بين السيميائية اللغوية، والاصطلاحية، والسياقية داخل النص الشعري.

ثانيا: أن البحث أكد ذلك التكامل المعرفي والانسجام الوشيج بين معطيات تراثنا اللغوي، والدراسات اللسانية الحديثة.

ثالثا: أن أهمية التحليل اللغوي المتكامل للنص اللغوي يظهر جمالياته، ويجعل النظرة التكاملية له ذات أبعاد متشعبة خاصة عندما ندرس علم البلاغة في عباءة المستويات اللغوية، فلا نفصل بين الأم وأبنائها.

[51] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري 5/ 270.

[52] ديوان عنترة 189, والبيت من الكامل, و" الوغى" : الحرب, و" الحسام ": السيف.

رابعا: أن هناك ارتباطا وثيقا في بنية الكلمة بين لفظها ومعناها، وأن كلا منهما لا يمكن فصله عن الآخر بل هما لبنة واحدة.

خامسا: أن السياق يؤدي دورا رئيسا في فهم النص، ومن ثم يترتب عليه فهم ظاهرة الحذف والتقدير، وما يترتب عليه من أحكام شرعية تفيد الأمة، وتيسر لها.

ونوصي إعادة قراءة تراثنا العربي قراءة متكاملة، فيه نربط العلوم بعضها ببعض وبخاصة دراسة علم البلاغة بين أحضان المستويات اللغوية، ومن ثم يستطيع الباحثون أن يكشفوا النقاب عن جماليات النص عند قراءته مرة أخرى.

المصادر والمراجع

.

ʿAbd al-Qāhir Ibn ʿAbd al-Raḥmān Ibn Muḥammad al-Jurjānī al-Naḥwī Abū Bakr. (n.d.). *Dalāʾil al-Iʿjāz*.

ʿAbd al-Ṣabūr Shāhīn. (1980). *Al-Manhaj al-Ṣawtī lil-Binyah al-ʿArabiyyah Ruʾyah Jadīdah fī al-Ṣarf al-ʿArabī*, Muʾassasah al-Risālah.

Abū al-ʿAlāʾ, Aḥmad ibn ʿAbd Allāh al-Maʿarrī. (2008). *Al-Lāmiʿ al-ʿAzīzī Sharḥ Dīwān al-Mutanabbī (363–449H)*, (Ed.) Muḥammad Saʿīd al-Mūlawī, 1st ed., Markaz al-Malik Fayṣal lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-Islāmiyyah.

Abū al-Ḥusayn, Aḥmad Ibn Fāris ibn Zakarīyā. (n.d.). *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah*, (Ed.) ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Fikr, Jil. 5, hlm 139,

Abū al-Ṭāhir, Muḥammad Ibn Yaʿqūb ibn Muḥammad ibn Maḥmūd al-Fīrūzābādī. (2013). *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ*.

ʿAmmār, Rabīʿ. (2008). *Bunyat al-Kalimah al-ʿArabiyyah wa-al-Qawānīn al-Ṣawtiyyah*, Majallah al-ʿUlūm al-Insāniyyah, Universiti Muḥammad Khīḍar, Biskrah, Issue 11.

al-ʿAynī, Badr al-Dīn Abū Muḥammad Maḥmūd Ibn Aḥmad. (2001). *ʿUmdat al-Qārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, (Ed.) ʿAbd Allāh Maḥmūd Muḥammad ʿUmar: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Dalīmah Mazūz. (2015). *Al-Takāmul al-Maʿrifī Bayna ʿIlm al-Aṣwāt wa-ʿIlm al-Naḥw, Majallah Rufūf*, Makhtūṭāt al-Jazāʾiriyyah fī Afrīqiyyah, Universiti Adrar, Algeria, Issue 8.

Dāniyāl Chandrīl. (n.d.). *Usus al-Sīmiyāʾiyyah*, (Trans.) Ṭalāl Wahbah, al-Munaẓẓamah al-ʿArabiyyah lil-Tarjamah, 1st ed. Beirut.

Dawlah al-Ḥāj, Ḥanafī Ibn, wa-ʿAbd Allāh, Nūr Azlīnā. (2014). *Ṣīgh al-Fiʿl al-Thulāthī al-Mujarrad wa-Tawẓīfuhā fī al-Ṣarf al-Taʿlīmī Dirāsah fī Ḍawʾ Naẓariyyat al-Mukhālafah wa-al-Muwāfaqah*, Al-Tajdīd,*18* (36).

De Beaugrande, R., & Dressler, W. U. (1981). *Introduction to Text Linguistics*. London: Longman.

Dīwān ʿAntarah 189, al-Bayt min al-Kāmil, wa 'al-Waghā': al-Ḥarb, wa 'al-Ḥisām': al-Sayf.

al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad. (2002). *Kitāb al-ʿAyn Murattaban ʿalā Ḥurūf al-Muʿjam*, (Ed.) ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwī, 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Ferdinand de Saussure. (1985). *ʿIlm al-Lughah al-ʿĀmm*, (Trans.) Dr. Yūʾīl Yūsuf ʿAzīz. Baghdad: Dār Āfāq ʿArabiyyah.

Ḥāfiẓ Ibrāhīm. (1948). Dīwān Ḥāfiẓ Ibrāhīm. (Ed.) Aḥmad Amīn, Aḥmad al-Zayn, & Ibrāhīm al-Ibyārī. Ketiga. Al-Maktabah al-Amīriyyah, Cairo, Jil. 1, hlm 242–244.

Ḥassān, Tamām. (1993). *Al-Bayān fī Rawāʾiʿ al-Qurʾān Dirāsah Lughawiyyah wa-Aslūbiyyah lil-Naṣṣ al-Qurʾānī*, 1st ed. ʿĀlam al-Kutub.

Ibn Jinnī, Abī ʿUthmān. (n.d.). *Al-Khaṣāʾiṣ* (Ed.) Muḥammad ʿAlī al-Najjār, Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, Jil. 1, hlm 33.

Ibn Mālik, Ḥāshiyat al-Ṣabbān ʿalā Sharḥ al-Ashmūnī ʿalā Alfiyyah (n.d.) (Ed.) Ṭāhā ʿAbd al-Raʾūf Saʿd. Kaherah: al-Maktabah al-Tawfīqiyyah.

Ibn Manẓūr. (n.d.). *Lisān al-ʿArab, (Ed.) ʿAbd Allāh ʿAlī al-Kabīr wa-Ākharīn*, Dār al-Maʿārif, Artikel 'banā', 4/365.

Ibn ʿUthmān, Muḥammad ibn Ḥasan. (n.d.). *Al-Murshid al-Wāfī fī al-ʿArūḍ wa-al-Qawāfī*.

al-Jawharī, Ismāʿīl Ibn Ḥammād. (1984). *Al-Ṣiḥāḥ* (Ed.) Aḥmad ʿAbd al-Ghafūr ʿAṭṭār, 3rd ed. Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn.

al-Maʿarrī, Aḥmad ibn ʿAbd Allāh (Abū al-ʿAlāʾ). (2008). *Al-Lāmiʿ al-ʿAzīzī: Sharḥ Dīwān al-Mutanabbī*: Markaz al-Malik Fayṣal lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt al-Islāmiyyah.

Malkaʾwī, Fatḥī Ḥasan. (2011). *Manhajiyyat al-Takāmul al-Maʿrifī Muqaddimāt fī al-Manhajiyyah al-Islāmiyyah*, al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī, 1st ed.

Muḥammad Ḥamāsah ʿAbd al-Laṭīf. (2000). *Al-Naḥw wa-al-Dilālah Madkhal li-Dirāsat al-Maʿnā al-Naḥwī al-Dilālī*, Edisi Pertama. Kaherah: Dār al-Shurūq:

Muḥammad Ibn Ḥasan Ibn ʿUthmān. (2004). *Al-Murshid al-Wāfī fī al-ʿArūḍ wa-al-Qawāfī,* 1st ed.*,* Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah. Beirut: Lebanon, Rujuk: Jāmiʿ al-Durūs al-ʿArūḍiyyah, oleh al-Dūkālī Muḥammad Naṣr, 1st ed., Manshūrāt Jāmiʿah Nāṣir al-Khams, 1997M.

al-Qāmūs al-Muḥīṭ ta'līf al-ʿAllāmah al-Lughawī Majd al-Dīn Muḥammad ibn Yaʿqūb al-Fīrūzābādī (w. 817H). (2005). *Al-Qāmūs al-Muḥīṭ,* 8th ed*.* Beirut: Muʾassasah al-Risālah.

Qāsimī, ʿAmmār. (2018). *Al-Takāmul al-Maʿrifī Muqārabah Mafāhīmiyyah*, Maʿhad al-ʿUlūm al-Islāmiyyah, Jāmiʿah al-Wādī Majallah al-Shiʿāb, Issue 08.

Raḍī al-Dīn Muḥammad Ibn al-Ḥasan al-Istarābādhī al-Naḥwī. (1982). *Sharḥ Shāfiyyat Ibn al-Ḥājib*, (Ed.) Muḥammad Nūr al-Ḥasan. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Raḍī al-Dīn Muḥammad Ibn al-Ḥasan al-Istarābādhī al-Naḥwī. (1982). *Sharḥ Shāfiyyat Ibn al-Ḥājib*, 686H, (Ed.) Muḥammad Nūr al-Ḥasan wa-Ākharīn. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Saʿīd Binkarād. (2012). *Al-Sīmiyāʾiyyāt Mafāhīmuhā wa-Taṭbīqātuhā*, Ketiga. Syria: Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Sībawayh, Abī Bishr ʿAmr ibn ʿUthmān ibn Qanbar. (1988M). *Al-Kitāb,* (Ed.) ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, 3rd ed., Cairo: Maktabah al-Khānajī.

ʿUbayd Ibn al-Abras Ḥantam ibn ʿĀmir ibn Mālik ibn Zuhayr. (2016). *Dīwān ʿUbaydah Ibn al-Abras*. Beirut: Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam.

Van Dijk, T. A. (1980). *Macrostructures: An Interdisciplinary Study of Global Structures in Discourse, Interaction, and Cognition*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.

Wān Muḥammad ʿAzzām Muḥammad Amīn & Ṣāliḥah Ḥāji Yaʿqūb. (2015M). *Al-Takāmul al-Maʿrifī fī al-Turāth al-ʿArabī al-Islāmī: Dirāsah Taḥlīliyyah wa-Naqdiyyah*. *Journal of the Arabic Language for Specialized Research*, *2*(1).

Yūsuf Wasaṭānī. (n.d.). *Al-Takāmuliyyah fī al-Taḥlīl al-Lughawī fī Ḍawʾ al-Turāth wa-Muqtaḍayāt al-Lisāniyyāt al-Ḥadīthah*. Dimashq: Majallah al-Turāth al-ʿArabī.

al-Zabīdī, Muḥammad Ibn al-Ḥasan Abū Bakr. (1984). *Ṭabaqāt al-Naḥwiyyīn wa-al-Lughawiyyīn,* (Ed.) Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Edis Ke-2. Dār al-Maʿārif.

al-Zabīdī, Muḥammad Murtaḍā al-Ḥusaynī. (1989). *Tāj al-ʿArūs min Jawāhir al-Qāmūs*, (Ed.) ʿAbd al-Karīm al-ʿAzbāwī, Maṭbaʿah Ḥukūmat al-Kuwayt, māddah Ẓḍf wa Faṣl al-Zāy maʿa al-Ḥāʾ, 23/370.